الموضوع: أحداث طهران.. دروس وعبر
المناسبة: الذكرى السنوية العشرون لإقامة صلاة الجمعة العبادية ــ السياسية
الزمان والمكان: 16 ربيع الثاني 1420هـ ــ ق طهران
الحضور: جموع المصلّين المؤمنين

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكّل عليه ونستغفره ونتوب إليه، ونصلّي ونسلّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه حافظ سرّه ومبلّغ رسالاته سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين سيما بقية الله في الأرضين، وصلِّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أوصي المصلّين الأعزاء من الإخوة والأخوات ونفسي بتقوى الله واجتناب معاصيه والخوف منه واستشعار أوامره ونواهيه وإرادته وقدرته في كل صغيرة وكبيرة.

اليوم عشرون سنة على إقامة أول صلاة جمعة في طهران، وهذا ما يدعونا إلى أن نسأل الله العلي القدير علوّ الدرجات لإمامنا العظيم ــ حكيم وعالم هذا العصر ــ وكذلك للمرحوم آية الله الطالقاني[1] الذي تلا أول خطبة جمعة وأقام أول صلاة جمعة، ونسأله الأجر والمثوبة لكل من قدّموا مساعٍ على هذا السبيل طوال العشرين سنة الماضية.

المواعظ في أحاديث الأئمة (عليهم السلام)

لمّا كانت صلاة الجمعة قائمة باجتماع الناس وبالدعوة إلى التقوى، لذا فإنني أخصص الخطبة الأولى في هذا اليوم لبعض من الأحاديث الشريفة المرويّة عن أهل البيت (ع) ــ لأن أفضل المواعظ في كلام أولياء الدين ــ لكي نستفيد إن شاء الله في هذه الذكرى السنوية الخالدة من نصائح أئمة الهدى، ولنتّخذ منها زاداً في طريقنا.

---

[1] الطالقاني، السيد محمود (آية الله...)؛ من العلماء الروحيين المناظلين ومن رجال الثورة. ولد سنة 1289هـ.ش = 1910م. درس في مدينة قم. قضى سنين من عمره في سجون رضا ومحمد رضا بهلوي. شارك المرحومين آية الله الكاشاني والدكتور مصدق في حركة تأميم البترول. ساهم في تأسيس حزب «نهضت آزادي». حكم عليه بالسجن لآخر مرة سنة 1354هـ.ش = 1975م. أطلق سراحه عشية انتصار الثورة الإسلامية. ترأس مجلس الثورة. عينه الإمام الراحل (قدس سره) كأول «إمام جمعة» لطهران في شهر مرداد 1358هـ.ش = آب 1979م. توفي في الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم 1358/6/19هـ.ش = 1979/9/10م.

أمّا الخطبة الثانية فسأكرّسها للحديث عن الوقائع التي حصلت لشعبنا في الأسابيع الماضية.

روي عن الإمام السجاد (ع) أنه قال: "يا بن آدم لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك"[2]. فالموعظة التي تأتيك من نفسك تسدي النصح لعقلك ولقلبك ولضميرك ولإيمانك.

صحيح أن الموعظة التي تأتي من الآخرين مفيدة ومجدية، إلاّ أنّ ما هو أكثر فائدة وجدوى هو أن يكون للإنسان واعظ من نفسه: "ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همّك"[3], أي يجب أن لا نترك أنفسنا على هواها بل نحاسبها، فإذا صدر منّا كلام يجب أن نحاسب أنفسنا على سبب صدور ذلك الكلام, وإذا قمنا بعمل ما أو أخذنا مالاً أو أعطينا مالاً ينبغي أن نحاسب أنفسنا على ذلك العمل وعلى سبب ذلك الأخذ وعلى سبب ذلك الإعطاء.

ومن الطبيعي أنّ محاسبة الإنسان لنفسه تكون أكثر دقّة من محاسبة غيره له؛ لأنه لا يخفى عليه شأن من شؤون نفسه, وإنك أيّها الإنسان ستكون بخير "ما كان الخوف لك شعاراً والحزن لك دثاراً"[4], أي عليك أن تحذر وأن تخشى عذاب الله وسخطه وغضبه وأن تضع ذلك نصب عينيك عند محاسبتك لنفسك، واحذر أن تَزِلَّ قدمك إلى ما يوجب سخط الله عليك, وإنك ستكون بخير ما دمت مواظباً على موعظة نفسك ومحاسبتها وكنت على حذر وخوف من عذاب الله وسخطه؛ وسيكون في ذلك خير دنياك وصلاح آخرتك، وتهذيباً لأخلاقك وصفاءً لحياتك، وإزالة لأسباب الاضطراب وفقدان الأمن في ما بينك وبين الناس، وستكون الحياة عندئذٍ طيّبة هنيئة.

"يا ابن آدم إنّك ميّت ومبعوث وموقوف بين يدي الله عزّ وجلّ ومسؤول، فأعدّ جواباً"[5].

وهذا اليوم سنقف فيه جميعاً أنا وأنت بهذه المشاعر وبهذا الكيان بين يدي الله بعد أن نبعث من التراب. سيجمعنا الله تعالى يوم القيامة ويسألنا، وعلينا أن نعدّ لذلك اليوم جوابه.

---

[2] وسائل الشيعة: ج16، ص 96. باب (96) الحديث3.

[3] نفس المصدر.

[4] نفس المصدر.

[5] نفس المصدر.

وجاء أيضاً في حديث آخر عن الإمام السجاد(ع) أنه قال: "المؤمن.. يجلس لـيعلم، وينصت ليسلم، لا يحدّث بالأمانة الأصدقاء، ولا يكتم الشهادة للبعداء، ولا يعمل شيئاً من الحق رئاءً، ولا يتركه حياءً"[6]. عندما يُسأل البعض عن سبب عدم أداء الصلاة أو النافلة في أول وقتها في الموضع الفلاني، تراه يقول إنه لم يفعل ذلك خجلاً.

وهنا تأتي نصيحة الإمام بعدم ترك عمل الخير خجلاً أو حياءً، وعليك أن لا تتـرك حسنة دفعاً لأسباب توجيه التهم إليك بالرياء والتظاهر، ولا ينبغي لك ترك كلام الحـق وعمل الخير نزولاً عند مشاعر الآخرين وتوجّهاتهم.

ومن جملة الخصال الأخرى للمؤمن أنه "إن زُكّيَ خاف ممّا يقولون، ويستغفر الله لما لا يعلمون"[7], أي أنه يستغفر الله للعمل السيّئ الذي ارتكبه، ولكن المزكّي ليس على علم به، ومن خصاله أيضاً أنه "لا يضرّه جهل من جهله"[8].

أوصيكم يا أعزائي، وخاصة الشباب، بتعلّم هذه الخصال والتحلّي بها، وتهذيب أنفسكم بهذه الإرشادات.

ولاشكّ في أنّ البلد والشعب الذي يزدان بمثل هؤلاء الشبيبة المؤمنين المهـذّبين لـن يتخلّف في أي ميدان من ميادين الحياة، وستصبح دنياه وآخرته عامرتين.

إغاثة المنكوبين واجب عظيم

أشير هنا إلى الفيضان الذي وقع في محافظة مازندران, وكان بمثابة كارثـة كبـرى أودت بحياة العشرات من أبناء شعبنا الأعزاء وجرح على أثرها عدد آخر، وتسببت في تشريد أعداد كبيرة من الناس وألحقت أضراراً فادحة بمساكنهم ومزارعهم ومحلاتهـم التجارية ومستلزمات حياتهم.

وقد نقل لنا الأخوة الكرام، الذين أوفدناهم إلى هناك وشاهدوا الأمـور عـن كثـب، صورة مروّعة ومؤلمة عن ذلك الفيضان المهيب.

وقد وقعت أيضاً فيضانات أخرى في محافظة كلستان وفي بقاع أخرى تابعة لمحافظة خراسان وفي مناطق أخرى.

---

[6] تحف العقول: ص 280. وفي الكافي، ج2، ص231: « المؤمن يصمت ليسلم وينطق ليغنم لا يحدث أمانته الأصدقاء ولا يكتم شهادته من البعداء ولا يعمل شيئا من الخير رياء ولا يتركه حياء».

[7] المصدر السابق.

[8] المصدر السابق.

فعلى الأجهزة الحكومية والهلال الأحمر الإسراع في إنجاز المهام التي يقومون بها حالياً، واتخاذ التدابير الفورية لِما ينبغي القيام به, أمّا خطابي إلى أبناء شعبنا العزيز في كل أرجاء البلاد فهو: أنني أدعوهم إلى مدّ يد العون لأبناء وطنهم؛ لأنّ المصيبة التي نزلت بهم مصيبة كبرى, ولاشك في أنّ تعبيركم عن مشاعر المواساة ومعاضدتكم للحكومة في إغاثة المنكوبين واجب عظيم وله عند الله مثوبة كبرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

<والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر>.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين سيّما عليّ أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والخلف القائم المهدي، حججك على عبادك وأمنائك في بلادك، وصلّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله.

أوصي جميع الإخوة والأخوات المصلّين الأعّزاء بالتقوى.

ومرادي من التقوى ــ في هذه الخطبة ــ هو: الوعي والدقّة والتدبّر والتأمّل.

تواجد الشعب ووعيه عامل أساس في إخماد الفتن

إنّ القضايا التي وقعت خلال الأسابيع القليلة الماضية جديرة بالتأمّل والاهتمام.. وإن كان حضوركم أنتم أبناء الشعب باقتدار وصلابة بمثابة لطمة قوية على أفواه المتآمرين، ورغم أنّ الأجهزة المسؤولة قد أدّت واجبها خير أداء، إلاّ أنّ أمثال هذه القضايا ما لم تعرف على الوجه الصحيح، وما لم يتّخذ الشعب قراره للمستقبل على نحو واضح وقاطع، مُبدياً بكل وعي وصلابة عزمه على الدفاع عن الحق والحقيقة، يبقى هناك احتمال لنشوب الفتنة في كل حين.

لذا فبعد مضي بضعة أسابيع على تلك القضايا, واتّضاح جوانب جديدة منها يبدو أنّ الوقت قد حان لإلقاء نظرة شاملة على تلك القضية بكل جوانبها.

إنّ أخطر الوقائع هي الفتن؛ فالفتنة معناها: الحادثة المحفوفة بالغبار, والتي لا يستطيع المرء فيها التمييز بين العدو والصديق، ومن دخل الميدان لمآرب خاصّة، وما هي الجهة المحرّضة.

الفتن يجب إخمادها بالتوعية، وحيثما وُجد الوعي يقصر باع الفتنة, وحيثما كان الكلام غير موجّه والعمل غير موجّه وتصويب السهام غير موجّه نحو غرض مُعيّن، والتّهم تلقى على غير وجه معيّن، فذلك يبعث النشوة في نفوس مثيري الفتن؛ لأن الساحة تصبح ملبّدة بالغبار.

ولهذا يجب على شعبنا العزيز ــ الذي كان، والحمد لله، طوال العشرين سنة الماضية على درجة عالية من الوعي الحقيقي ــ أن يحلّل الأمور في هذه القضية بوعي وفطنة أيضاً.

وسأتحدّث لكم في هذه الخطبة بما يتسنّى لي التحدث به.

كانت هناك مشاعر توحي بأنّ مراكز العداء الرئيسية للشعب الإيراني كانت تترقّب وقوع حوادث في إيران، وكان هذا المعنى واضحاً من خلال كلماتهم؛ فقد ورد في التقرير الذي قدّمه رئيس وكالة التجسّس الأمريكية للسلطات هناك في العام الماضي: نتوقّع حصول أحداث خلال عام 1999 ــ أي العام المسيحي الجاري ــ في إيران لم يكن لها مثيل خلال العشرين سنة الماضية، أي منذ أول الثورة إلى الآن! وقد عكس من خلال هذه اللهجة إطّلاعه على أحداث تجري وراء الستار.

وقد أدلى بعض الفارّين المتعاونين مع الأعداء ممن لجأوا إلى أمريكا بتصريحات مشابهة لهذا الكلام, فقد قال أحد هؤلاء الفارّين المرتبطين بالأجنبي ــ كما ورد في الأخبار ــ: إننا سنذهب إلى إيران في العام المقبل! وهذه الأحلام الوردية تراود أفكارهم على الدوام.

فمن الواضح إذاً أنّ الصهاينة والأمريكيين ومراكز القوى المعادية كانت تفكّر ببروز أحداث في إيران، وكان من المقرّر أن تقع مثل هذه الأحداث.

كان يفترض ــ طبعاً ــ توفّر الأجواء المناسبة لنشوب مثل هذه الأحداث؛ من قبيل انخفاض عائدات نفطنا فجأة إلى النصف أو إلى الثلث، ومن الطبيعي أنّ المشاكل الاقتصادية وانخفاض الدخل القومي تشكّل خطورة على أي بلد كان، ويمكن أن تمهّد الأجواء لأمور كثيرة؛ فمن جهة جاء صحفيّون أجانب إلى إيران في بعض المناسبات والتقوا بأفراد على شاكلتهم وعكسوا ــ نقلاً عنهم ــ بعض التصوّرات والآراء، وجاء

في بعض البرقيات المرسلة من قِبَلهم: أنّ امرأة أو شاباً أو شخصاً في كذا موضع من مدينة طهران صرّح لنا بأننا سئمنا الإسلام, وضقنا ذرعاً بالحكومة الإسلامية.

وهكذا بدا لهم أنّ الأجواء أخذت تتهيّأ.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أنّ العناوين التي كانت تنشرها بعض الصحف كانت تؤمّلهم بأشياء كثيرة, وهكذا تبدّى لهم أنّ الشعب قد تراجع عن الإسلام, فقد كان هناك ما يجتذبهم إلى نسج الأفكار ووضع الخطط واتخاذ بعض الإجراءات.

الخطوط العامة لمؤامرات ومخططات العدو ضد الجمهورية الإسلامية

لقد وقعت طوال السنة والنصف الماضية أحداث وقضايا لا يمكن للإنسان الفطن إذا نظر إليها أن يراها غير مترابطة في ما بينها.

ومع أنّ كل واحدة منها جاءت في برهة معيّنة, إلاّ أنّ الإنسان الواعي يشعر بوجود ترابط في ما بينها.

وقد دَوّنتُ بعضاً منها, وأتلوها في ما يلي على مسامعكم.

فمن جهة أوجدوا شبكة حرب نفسية ضد إيران والنظام الإسلامي على مستوى الإعلام العالمي؛ ففضلاً عن الإذاعات المعروفة ــ التي تتحدّث ضد النظام الإسلامي على الدوام, كصوت أمريكا, وإذاعة الكيان الصهيوني, والإذاعة البريطانية ــ أسّس الأمريكيون إذاعة خاصّة موجّهة ضد النظام الإسلامي أطلقوا عليها اسم الإذاعة الحرّة، وخصّصوا لها مبالغ طائلة, أعلن أنها ناهزت مئة مليون دولار أو ما يقارب ذلك.

وبذلوا جهوداً محمومة على هذا السبيل, ودخلوا في صراع مع البلد الأوربي الذي رفض السماح بإقامة تلك المحطة الإذاعية على أراضيه, ومارسوا عليه ضغوطاً شديدة اضطرّته إلى القبول بإنشاء محطّة إرسال إذاعي في أوربا, وأعلنوا صراحة ــ وهذا ليس تحليلاً ــ أنّ هدف هذه الإذاعة هو مجابهة كذا جناح سياسي في إيران.

وقد صرّح مديرو تلك الإذاعة بهذه الحقيقة، وسمعتُ تلك التصريحات بنفسي.

من جملة الأمور التي تجلب الأذى للشعب وللبلد وللفرد وللأسرة هي بثّ الإشاعات, في القديم كان بثّ الإشاعات يعتمد أسلوب دسّ مجموعة أشخاص بين صفوف الناس، وهذه المجموعة هي التي تتولّى نشر الإشاعات والأكاذيب, أمّا في الوقت الحاضر فيتمّ نشر الإشاعات بواسطة الإذاعة؛ حيث تعمد الإذاعة إلى اختلاق خبر من عندها أو تحريف خبر معيّن، أو تضخيم أمر صغير، أو كتمان حقيقة مهمّة؛ وهذا هو ما يعنيه نشر الإشاعات.

وقد شرعت الأجهزة المعادية منذ حوالي سنة ونصف ببثّ إشاعات واسعة ضد النظام الإسلامي أكثر من ذي قبل، حيث إنّ الإشاعات كانت متواصلة على امتداد العشرين سنة الماضية، إلاّ أنها اتّخذت خلال هذه المدّة بعداً أوسع.

ومن جهة أخرى أخذوا يشجّعون الأفاعي المختبئة في جحورها داخل إيران بالنزول إلى الساحة والمجاهرة بالكلام؛ أي أنهم أخذوا يحثّون المخذولين سياسياً ــ وهم فئة أسوأ حالاً من الفاشلين سياسياً ــ الذين تلقّوا صفعة موجعة من الشعب وانقلبوا إلى جحورهم مخذولين، ودفعوهم إلى الإدلاء بآرائهم السياسية والإعلان عن وجودهم, وهذه ظاهرة تثير دهشة المرء في الوهلة الأولى, وتدفعه إلى التساؤل عن كيفية خروج هذه العناصر إلى الميدان؟!

وشرعت من جهة أخرى بإثارة الفتن بين التيارات السياسية في الداخل بواسطة عناصرها السياسية الخبيثة.

من الطبيعي أنّ التيارات والفئات السياسية يوجد في ما بينها اختلاف في الرؤى والأمزجة، ولكن لا يوجد بينها صراع وتناحر وعداء, وهكذا بدأت تلك العناصر بإثارة الفتنة، وكانت مآربهم واضحة للعيان, فكان الإعلام الأجنبي المعبّأ لهذه الغاية والممارسات التي حصلت تُشعر المرء بأنهم عازمون على تأليب الفئات السياسية ضد بعضها الآخر؛ وهكذا أخذوا يوحون إلى كل واحدة من تلك الفئات أنّ عدوّها الحقيقي ليس خارج الحدود، وإنما هو في الداخل وهو بالضبط ذلك التيار المقابل؛ وأشعلوا بذلك لهيب النزاعات الفئوية.

وفضلاً عن ذلك وقعت حوادث قتل مروّعة لا مثيل لها لدينا من قبل، مثل حوادث القتل الغامضة ــ وهي حقاً حوادث مثيرة للعجب والحيرة ــ حيث وقعت فجأة الواحدة تلو الأُخرى, وأثارت القلق في نفوس الشعب وفي نفوس المسؤولين على حدّ سواء، فضلاً عمّا خلّفته من شعور بعدم استتباب الأمن، وما سببته من زعزعة لمكانة وزارة الأمن التي تتبوّأ مركز الصدارة في الحفاظ على أمن النظام والبلد والشعب, وقد رأيتم مدى الضجّة الهائلة التي نجمت عن تلك الحوادث.

هنيئاً لمن لا يستمعون للإذاعات, فهم هادئو البال, وأنفسهم في راحة من سماع الكذب؛ فالذين كانوا يستمعون إلى تلك الأخبار, أو كانت تقدّم لهم تقارير بها كانوا يشاهدون ماهيّة التحليلات, ومدى الصخب, وكيفية الاستغلال الفاضح الذي كانت تمارسه الإذاعات الأجنبية من تلك الحوادث.

ولكن بعد سبر أغوار تلك القضايا والإمساك بجذورها الأصلية وجدوا أنّ أيادي أجنبية كان لها دور مباشر في هذا العمل من وراء الستار.

وبالإضافة إلى ذلك, وقعت أعمال عنف في الداخل، حيث هجمت جماعة من الفئة الفلانية على مجموعة من التكتّل الفلاني في كذا مكان، وكانت تُذاع أخبارها على الفور في الإذاعات وفي وسائل الإعلام السائرة في سياق الركب المعادي، وتنسب تلك الأحداث إلى النظام.

فكان ذلك مدعاة لإثارة الاضطراب والبلبلة في أذهان الناس.

ومن جهة أخرى كانت الأجهزة المعادية تُشيع وجود اختلافات بين كبار المسؤولين في البلاد, وأنّ الصراعات محتدمة بينهم على السلطة.

نلاحظ أنّ الصراع على السلطة بين الساسة في مختلف بلدان العالم يصل حداً لا يتورّع فيه أحد منهم عن ارتكاب أية جناية ضد الآخر، في حين أنّ مثل هذه الظاهرة لا وجود لها على الإطلاق في بلدنا ــ والحمد لله ــ وخاصّة بين كبار المسؤولين, لكن أجهزة الدعاية المعادية تتعمّد بثّ الإشاعات حول وجود صراع على السلطة بين المسؤولين في إيران؛ وهذه أيضاً من جملة الظواهر التي تثير الاستغراب, وتدعو المرء إلى التساؤل عن مصدر إطلاق مثل هذه الإشاعات وما الداعي لها.

ونلاحظ من جهة أخرى إثارة الشكوك وتوجيه الضربات لكل الأجهزة القادرة على إخماد لهيب الفتنة عند إضطرامها؛ فقد تعرّض حرس الثورة الإسلامية لكثير من التّهم، ووجّهت إلى أجهزة القضاء تُهم من نوع آخر، وإلى قوات التعبئة تُهم على نحو مغاير، وكذلك إلى قوى الأمن الداخلي، وإلى المؤسسة العامّة للإذاعة والتلفاز؛ بغية إسقاط اعتبار هذه الأجهزة والمؤسسات من أعين الشعب، لكي لا يعبأ بها الشعب ولا يثق بها عند الشدائد, ويوم تدعو الحاجة إليها.

كما ويلاحظ من جهة أخرى إنكبابهم على تقوية شبكات التجسّس في الداخل؛ فقد تمّ في أوائل السنة الحالية الكشف عن شبكة تجسّس خطيرة, تتألّف من عدد من اليهود وغير اليهود من الإيرانيين, وعلى الرغم من إطلاع الأجهزة المعادية منذ الوهلة الأولى على اعتقال أعضاء تلك الشبكة، إلاّ أنها التزمت جانب الصمت مدّة شهر أو شهرين، ثم إنّ تلك الأجهزة نفسها صرّحت لاحقاً: بأنها علمت باعتقالهم منذ اللحظة الأولى.

وهنا يجب أن نتساءل, كيف علمت تلك الأجهزة باعتقالهم, إن لم يكونوا على صلة بها؟! كيف يصرّح المسؤولون الأمريكيون والصهاينة أنهم علموا باعتقال أولئك الأشخاص منذ اليوم الأول, ولكنهم كتموا خبرهم؛ لكي لا يعرّضوهم لمزيد من الضغوط؟! في حين لم يكن شعبنا قد علم بعد باعتقال أولئك الجواسيس!

لقد علموا باعتقال أولئك الجواسيس منذ اليوم الأول، ولكنهم لجأوا بعد فشل الوساطات والضغوط إلى إثارة ضجّة إعلامية مصحوبة بالاعتراض على اعتقال هؤلاء اليهود

الجواسيس الثلاثة عشر، وجَرَت محادثات هاتفية بين زعماء الدول الأوربية والأمريكية حول هذا الموضوع! أليس في هذا دلالات على أهمية القضية بالنسبة لهم؟!

هذه مجموعة من الحوادث الغريبة التي وقعت متتابعة خلال السنة والنصف الماضية.

ويبدو من ظاهر الأمور أنّ كل واحدة من هذه الحوادث لا صلة لها بالحادثة الأخرى، ولكن الإنسان الفطن إذا نظر إلى مجموع هذه الحوادث يشعر أنّ كل واحدة منها لم تقع بمعزلٍ عن الأخرى؛ فهي تؤدّي من جهة إلى تخريب الأجواء الذهنية للناس، وتؤدّي من جهة أخرى إلى إلهاء الخواص بشؤون هامشية، وتفضي من جهة ثالثة إلى إيجاد هوّة بين الشعب والنظام، وتؤدّي من جهة رابعة إلى تفعيل عمل جواسيسهم.

وأخيراً عبّر أحد المسؤولين الأمريكيين عن استيائه إزاء الأوضاع الجارية في إيران, قائلاً: إننا لا توجد لدينا سفارة في إيران حتى يكون لدينا إشراف تام على ما يجري هناك! ومن هنا يتّضح سبب إصرارهم طوال هذه المدّة على إقامة علاقات معنا، ولأي غرض يريدون إيجاد سفارة لهم في طهران! ومن الواضح أنهم كانوا يريدون أن يقوم هؤلاء الجواسيس وأشباههم بأداء دور تلك السفارة!

حينما يضع المرء مجموع هذه الأحداث إلى جانب تصريح مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذي قال فيه: "من المقرر وقوع حادثة كبرى في إيران في عام 1999" يدرك أنها لم تكن أحداثاً عارضة ولا هي من فعل بضعة أناس بسطاء هنا وهناك، وإنّما هي عبارة عن خطّة موضوعة ومبرمجة من قِبَلهم.

إذا افترضنا أنّ هذه الأحداث توجّهها أيدٍ قابعة وراء الستار ــ وهو افتراض قريب من الأذهان ــ فمن الطبيعي أنّها تترقّب حدوث شرارة من الداخل.

كانوا يتصوّرون أنّ الأوضاع الاقتصادية التي يعيشها الشعب جعلته ساخطاً على النظام ويائساً من الحكومة، وستدفع به إلى التخلّي عن النظام، ثم إنّ حرس الثورة وقوى الأمن الداخلي غير قادرين على فعل شيء مهم، ناهيك عن أنّ وزارة الأمن مشلولة القوى، فما عليهم إذاً إلاّ أن يقدحوا شرارة ويفجّروا برميل بارود في إيران.

وكانوا يتصوّرون أنّ أقل ما يمكن أن يتمخّض عن هذه العملية من النتائج أن يتزعزع الأمن العام والاجتماعي للشعب.

العدو يستهدف أمننا القومي

تصوّروا لو أنّ الفوضى التي حصلت يومي الاثنين والثلاثاء من ذلك الأسبوع؛ أي يومي الحادي والعشرين والثاني والعشرين من شهر تير [28 ــ 29 ربيع الأول] حيث نزل البعض إلى الشوارع وأضرموا النيران, وكسروا المحال التجارية, ونهبوا البنوك

ودمّروا الممتلكات العامّة، لو لم تلجمها السواعد المقتدرة للنظام الإسلامي، ولو لم يقف الشعب تلك الوقفة المجيدة، فما الذي سيحلّ بالبلد, لو أنّها استمرّت على مدى سنة كاملة؛ كأن تقع في كل عدّة أيام حادثة من هذا القبيل في شارع أو في حيّ أو في حارة، في طهران أو في المدن الأخرى، ولو تعرّض الناس في محالّهم وفي دوائرهم وفي مساكنهم والأطفال في مدارسهم، لمثل هذه الحوادث، لتزعزع الأمن العام، ولضاق الشعب ذرعاً بهذه الأوضاع؛ لقد كان هذا هو الهدف.

لقد أعلنتُ للشعب يوم الاثنين من ذلك الأسبوع أنهم يستهدفون أمننا القومي، يومها لم تكن الفوضى والاضطرابات والتدمير والحرائق قد بدأت بعد، ولكن كان من الواضح أنّ غايتهم هي القضاء على أمننا القومي, أي أنّ المواطنين إذا أرسلوا أبناءهم إلى المدرسة لا يأمنون وصولهم إليها، وإذا ذهب شبابهم إلى الجامعة في محافظة أخرى لا تبقى لديهم ثقة في أنهم سيأتي منهم رسالة في الأسبوع التالي، وسيسلب أمن المواطنين في مساكنهم وأعمالهم وعموم حياتهم.

هذه كانت خطّتهم، وكانوا يترقّبون اندلاع شرارة واحدة؛ لتجرّ من ورائها هذه الأحداث.

وكانت تلك الشرارة هي الواقعة المريرة التي حصلت في الحي الجامعي.

حادثة الحي الجامعي حادثة مؤلمة ومريرة

ليس لديّ حتى الآن استنتاج قطعي أدرك بموجبه حقيقة حادثة الحي الجامعي؛ وعلى الرغم من معرفتي بما حصل، إلاّ أنّ الأسباب والكيفية التي وقعت فيها تلك الحادثة لازالت غامضة لدينا.

وهي على كل الأحوال حادثة مؤلمة ومريرة، ومن الصعب على المرء أن يتصوّر أنها جاءت عرضاً أو من قبيل الصدفة, أي أنّ ذهن الإنسان يذهب في ضوء المقدمات التي ذكرتها، إلى ألف حساب وحساب؛ إذ لا يصدّق المرء أنها حادثة عادية وقعت تلقائياً، بل يذهب به التصوّر إلى أنها حادثة مفتعلة، ولكن ممّا يحزّ في النفس, ويدمي القلب هو أنّ جماعة من الطلبة الشباب ظُلموا في خضم هذه الحادثة وجورها وبلاها.

في الليلة التي جاءني فيها أولئك الشباب الذين أصيبوا في حادثة الحي الجامعي، بقي ذهني مشغولاً بتلك القضية ولم تفلح كل محاولاتي لصرف ذهني عمّا جرى لهؤلاء الأخوة.

إنهم في الحقيقة شباب شرفاء مؤمنون وصالحون, وأكثرهم من أهالي المدن الأخرى؛ أي من اصفهان وخراسان ويزد وأماكن أخرى، وبعضهم من أهالي طهران.

والحقيقة أنّ قلب الإنسان يلتهب ناراً حينما يرى مدى خسّة الأيدي المعادية في ارتكاب هذه الجرائم, وإذا كان الأعداء قد خطّطوا لهذه الحادثة وحاولوا افتعالها عمداً, مستهدفين من ورائها خيرة الشرائح الاجتماعية ــ وهم الشباب وطلبة الجامعات ولاسيما إذا كانوا من هذا الطراز من الطلبة ــ فإنّ حساباتهم خاطئة.

أخطاء الأعداء، ويقظة الشعب

وسأبيّن الآن أين تكمن أخطاء العدو في حساباته، وإنّما أبيّن تلك الأخطاء, لعلمي بعدم مقدرة العدو على تصحيح أخطائه؛ وذلك لعدم وجود سبيل أمامه لتصحيحها، وليس قصدي من تحديد مواطن الخطأ هو إرشاد ذلك العدو لتصحيح أخطائه؛ فهو ــ أي العدو ــ غير قادر على التخلّص من هذا التناقض ومن هذا الموقف الخاطئ.

لقد كانت البداية التي بدأوا بها مدعاة لزرع الأمل في نفوسهم, حيث أدّت واقعة الحي الجامعي إلى إثارة غضب واستياء عدد من طلبة الجامعات؛ لأن جامعة طهران تمثّل محوراً لجامعات البلاد وموضع أمل للجميع، وحاولت تلك القوى استغلال غضب هؤلاء الشباب وحوّلوا الشعارات من شعارات طلابية إلى شعارات معادية للنظام، ونقلوا الأحداث من داخل الحي الجامعي إلى الشوارع, وحصل ما علمتم به وما سمعتموه.

وتصوّروا أنهم أحرزوا بعملهم ذلك بعض التقدّم، إلاّ أنّ قوى الأمن الداخلي نزلت بحزم واقتدار؛ ومع أنّ قوى الأمن الداخلي وُجِّهت لها ضربة في اليومين الأول والثاني، إلاّ أنّها تدخّلت في الموقف على نحو فاعل.

كان الأعداء يتصوّرون أنّ الضربة المعنوية الأولى التي وُجّهت لقوى الأمن الداخلي ستجعلها غير قادرة على النهوض، إلاّ أنها نهضت بكل اقتدار, ونزلت إلى الساحة بكل قوّة.

أضف إلى أنّ قوّات التعبئة ــ وهي القوّات الأساسية والعظيمة للشعب الإيراني ــ دخلت إلى الميدان أيضاً بتنظيم من قِبَل حرس الثورة الإسلامية، واعتصروا العدو كما تُعصر الورقة في اليد.

وفي اليوم التالي نزلت حشود الجماهير إلى الشوارع بحركة ذاتية، وانطلقت تلك التظاهرات المليونية العارمة التي حاولت الأيدي الأجنبية التقليل من شأنها، ولكن بنظر مَنْ تقلل من شأنها؟! نعم، قد تنجح في قلب الحقائق أمام الشعوب الأخرى، ولكن هل تفلح في قلب الحقائق أمام أهالي طهران واصفهان وشيراز ومشهد وتبريز والمدن الأخرى, الذين شاهدوا بأمّ أعينهم ما كان يجري على أرض الواقع؟!

كان أول خطأ ارتكبوه في حساباتهم هو: أنهم ظنّوا أنّ الشعب الإيراني قد ابتعد عن الإسلام وعن الثورة وعن نهج الإمام الخميني، من غير أن يعلموا أنّ هذا الشعب هو ذلك الشعب نفسه الذي استطاع اقتلاع وتدمير ذلك النظام, الذي بنى الأمريكيون وغيرهم حوله سبعة أسوار، وهو ذلك الشعب الذي نزل بأمر الإمام إلى الشوارع لمواجهة المؤامرة الأمريكية في شهر بهمن عام 1357 هـ ش1980م وحسم القضية خلال بضع ساعات، وهو نفس ذلك الشعب الذي سطّر موقفاً مجيداً من خلال حضوره بوعي في الساحة السياسية؛ لصد المؤامرة التي دبّرتها أميركا ضد هذا البلد في عام 1359هـ ش1982م، قاطعاً بذلك كل الآمال التي في نفوس الأجانب، وهو نفس ذلك الشعب الذي تصدّى بصلابة للاضطرابات التي أثارها المنافقون في عام 1360 هـ ش1983م وزرع اليأس في قلوب الأعداء من العناصر العميلة والمأجورة والمنافقة الخبيثة، وهو ذلك الشعب الذي نهض بهؤلاء الشباب وبقوات التعبئة هذه، وبطلبة الجامعات هؤلاء، وبهؤلاء العمّال، وبهؤلاء الفلاّحين على مدى ثماني سنوات ضد الحرب, التي قدّمت فيها كل القوى المادية في العالم الدعم والعون للجانب المقابل، وحسمها على غير ما يريدون، وهو ذلك الشعب الذي كان على مدى السنوات العشرين الماضية ينزل إلى ميدان الساحة السياسية متى ما اشتدّ التآمر المعادي بأي شكل من الأشكال، ويُفشل ذلك التآمر من خلال حضوره الفاعل في التظاهرات والتجمّعات كالسيل العاتي الذي يجرف في مسيره القذى والفضلات.

هذا هو الشعب نفسه، وهؤلاء الشباب هم أولئك الشباب أنفسهم، وهذا هو الجيل نفسه؛ وهذا الجيل الصاعد هو جيل الإسلام.

لقد أخطأوا في حساباتهم حين تصوّروا أنّ الشعب الإيراني تراجع عن الإسلام؛ ولكنهم أدركوا أنّ هذا الشعب متمسّك بالإسلام ومتمسّك بالثورة، ومتمسّك بالنظام، ويعرف قدر هذا النظام الصالح المقتدر، وهو مصمّم على حلّ المشاكل بصموده.

هذا الشعب غير مستعد للخضوع لأميركا مرّة أخرى، وهذا الشعب غير مستعد لأن يتسلّط عليه نظام يستأذن أمريكا في كل صغيرة وكبيرة، كما هو الحال بالنسبة للشعوب الأُخرى، التي إذا أرادت أنظمتها أن تقيم علاقة مع دولة أخرى, أو تقطع علاقاتها مع دولة أخرى لابدّ وأن تحصل على إذن من أمريكا، وإذا أرادت أن تصنع سلاحاً يجب أن تحصل على إذن منها.

وقد تناقلت وكالات الأنباء قبل بضعة أيام خبراً مفاده: أنّ دولة من الدول طلبت الإذن من أمريكا لتطوير مدى أحد أسلحتها! والشعب الإيراني يرى هذه القضايا في العالم, وهو غير مستعد لتقبّل مثل هذه الحياة.

هذا الشعب قد ذاق طعم الاستقلال والحرية والعزّة والتحرّر من هيمنة الأجانب؛ ولهذا فهو لن يخضع لهم مرّة أخرى.

إذاً كان أول خطأ ارتكبوه في حساباتهم ه:و أنهم أساؤوا فَهْم الشعب الإيراني.

أما خطأهم الثاني, فيكمن في: سوء تقييمهم لطلبتنا؛ وحالهم هنا أشبه ما يكون بحال من يقول الطريفة ويضحك هو لها؛ فَهُم الذين قالوا: أنّ الطلبة معارضون للنظام، وهم الذين فرحوا واستهلّوا طرباً بأنّ طلبة الجامعات مناوئون للنظام ولا يريدون الإسلام.

فأي طلبة هؤلاء؟! أجل، قد يوجد هنا وهناك بعض العملاء والمرتزقة ممن لهم بنين أو بنات من طلبة الجامعات ــ وقد لا يكون الأمر كذلك، ولكن على فرض أن يكون هناك بضعة أشخاص من هذا القبيل ــ إلاّ أنّ عموم الطلبة مؤمنون وعقلاء وواعون.

فقد لاحظتم أنهم على الرغم من جرح مشاعرهم ــ لأن قضية الحي الجامعي أثارت غضبهم واستياءهم ــ ولكنهم بمجرّد أن لاحظوا أنّ العدو يحاول استغلال الموقف حتى تخلّوا عن ذلك الموقف, فطلبة الجامعات أبناؤنا وليس أبناؤهم، وهم أعضاء في هذه الأُسرة، وابن الأُسرة حتى وإن كان شقيّاً، إذا هجم على دارهم عدو تراه يدافع بكل وجوده، بل إنه يدافع أحياناً أفضل من غيره, وابن الأُسرة يثبت ذاته من خلال الدفاع المقدّس.

لقد توجّهت من جامعة طهران, ومن الجامعات الأخرى جموع كثيرة إلى الجبهة واستشهدت منهم أعداد غفيرة، وكان أغلب الطبقة الأولى التي تشكّل منها حرس الثورة من طلبة الجامعات، والطبقة الأولى التي تشكّل منها جهاد البناء كانت من طلبة الجامعات، وهؤلاء الطلبة هم الذين ينهضون اليوم بالمهام العلمية للنظام على شكل عملي وتجريبي في مختبرات الجامعات.

فما الذي يدور في خُلد الأعداء حول طلبتنا؟!

يكمن الخطأ الثالث ــ الذي وقع فيه الأعداء ــ: في ما تصوّروه حول وحدة المسؤولين, حين ظنّوا أنّ الإشاعات التي أثاروها ستتحقق؛ ومثلهم في ذلك كمثل ذلك المجنون الذي أراد أن يشغل الأطفال عن إيذائه، فخدعهم بأنه توجد وليمة في المكان الفلاني، وبعدما ركض الأطفال باتجاه ذلك المكان، انطلق هو وراءهم قائلاً: لعلّه توجد هناك وليمة حقاً! فالأعداء هم الذين بدأوا ببثّ الإشاعات حول وجود اختلاف بين المسؤولين، ثم أخذوا يصدّقون.

كلا، لا يوجد اختلاف بين المسؤولين.

في عصر نفس يوم الثلاثاء دعت الضرورة إلى عقد اجتماع يحضره كبار المسؤولين في البلاد؛ وكان من جملتهم رؤساء السلطات الثلاث ورئيس مجمع تشخيص مصلحة

النظام ووزيرا الأمن والداخلية وغيرهم، وقد لاحظت بدقّة أنهم حينما كانوا يتحـدّثون، كانوا يتحدّثون بلهجة واحدة, ويرومون غاية واحدة, ويسعون باتجاه هدف واحد.

والأعداء واهمون؛ لأنهم يجلسون يفصّلون ويخيطون كما يحلو لهم، ويصدرون وفقاً لذلك أحكامهم على كل شخص.

إنني أقول الآن ــ وأنا على بيّنة ــ من أن الشعب الإيراني يعلم، ولكن تكرار هـذا الكلام يبعث في نفسه الارتياح والسرور، وأدري أنّ العدو يعلم ويسوؤه تكـرار هـذا الكلام؛ فليعلم الجميع أنّ مواقف كبار المسؤولين ــ وخاصة موقف رئيس الجمهوريـة المحترم ــ إزاء هذه القضايا، موضع قبول ودعم مطلق منّـي؛ فأنـا أؤيّـد وأدعـم المسؤولين دعماً قاطعاً، وأعلن دعمي ومساندتي لرؤساء السلطات الـثلاث، وخاصـة لشخص رئيس الجمهورية, وإذا كانت لديّ مؤاخذة على بعض قطاعات الحكومة, فأنـا أُعلم رئيس الجمهورية بها, وكلّي ثقة بأنه يتولّى أمر متابعتها, كل قضايانا تجري على هذا المنوال، إلاّ أنّ العدو فهمها على نحو آخر.

أمّا خطأهم الرابع: فيتمثل في سوء تقديرهم لطبيعة التيارات السياسية في الداخل؛ فهم بعد أن رأوا التيارات السياسية يزعق أحدها بوجه الآخر، فهموا الأمر على نحو آخر، وظنّوا أنّ هذه التيارات المعدودة ستقف ضد بعضها الآخر في مثل هذه القضايا, وتدخل في صراع لا نهاية له.

ولكنهم ذُهلوا حين لاحظوا أنّ التيارات السياسية كلها أعلنـت عـن عزمهـا علـى المشاركة في المسيرة الجماهيرية الحاشدة في يوم الأربعاء، ولم يبق حينهـا أي ذكـر لليمين واليسار.

وفي الحقيقة لا تعجبني تسمية اليمين واليسار، غير أنّ الفصائل التي تسـتخدم هـذه التسميات أعلنت كلّها عن عزمها على المشاركة في المسيرة الجماهيرية، وشاركت فيها فعلاً.

وكان خطأهم الخامس هو: عدم الدقّة في تقييم العناصر التي كانت تعمل لصـالحهم؛ وذلك بتصوّرهم أنّ العناصر العميلة لهم استطاعت تنظيم شـبكة قويـة مـن الأراذل والأوباش, بحيث إنّ أعضاء هذه الشبكة إذا نزلوا إلى الشوارع فلن يتمكّن أحـد مـن الوقوف بوجوههم! غير ملتفتين إلى أنّ الأموال التي قدّموها لعملائهم قد انفق معظمهـا على مصاريفهم الخاصّة.

لقد بالغوا في تقديراتهم لمدى فاعلية القوى المرتبطة بهم, ولم يفهموا أنّ حركة واحدة من الجماهير, أو من قوات التعبئة كفيلة بإرغام تلك العناصر على التقهقر نحو جحورها كالحشرات.

وخطأهم ناجم هنا من مقارنة هذا الموقف بما حصل في يوم 28 مرداد عـــام 1332 هـــ ش1955م حين نزل الأوباش والأراذل إلى الشوارع وهم مسلّحون بالسكاكين وما شابه ذلك وسيطروا على الأوضاع، وبعدما استتبّ لهم الأمر، جاء عند ذلك دور جيش الشاه, تصوّروا أنّ الظروف اليوم مشابهة لما كانت عليه بالأمس، بـــدون أن يحســـبوا حساب الشعب وقوات التعبئة والقوى الثورية.

أمّا خطأهم السادس فهو: عدم الدقّة في تقييمهم لمدى فاعلية الأجهزة المختصّة؛ إذ لم يتصوّروا أنّ قوى الأمن الداخلي, أو وزارة الأمن, أو مسؤولي القطاعـــات الأخـــرى ستكون لديهم القدرة على التصرّف على هذا النحو الفاعل المقتدر، متصوّرين أنّ هـــذه القوى لم يعد لديها رمق كافٍ للنهوض.

لقد ارتكبوا أخطاءً فظيعة في حساباتهم، وقد دحرهم الله بهزيمة مريرة, وكبتهم بسبب ما اقترفوه من أخطاء.

الإصلاح في نظر العدو

من الطبيعي أنّ الأجهزة الأجنبية اتخذت مواقف عجولة وعبّرت عن ارتياحها؛ فتلك الأجهزة التي تتبجّح على الدوام بحقوق الإنسان أخذت تصف العناصر القذرة التي نزلت إلى الشوارع وحطّمت الزجاج, وسلبت البنوك, وأضرمت النار في سيارات الأهالي أو سيارات الدولة، وقطعت الطرق، على أنها تمثل القوى الإصـــلاحية, وتمثّـــل الشـــعب الإيراني.

وهكذا اتّضح معنى "الإصلاح" الذي يقصدونه! أمّا وقفة الشعب الإيراني يوم الأربعاء فلم يأخذوها في الحسبان! لقد وصفت تلك الأجهزة العناصر التي وقف الشعب ضـــدّها بأنّها هي الشعب، ولو أنها صبرت يوماً أو يومين ولم تتكلّم بشيء لَما وقعت في هـــذا المأزق المحرج! وأغلب من تسرّع في الإدلاء بآرائه هي تلك المراكز المعادية للنظـــام الإسلامي، حيث تسرّعت كلّها في الإدلاء ببعض التصريحات.

وحتى رجل الدولة الأمريكي الذي قال: أنه لا يريد التصريح بما يفضي إلى إلحـــاق الضرر بالقوى المناوئة للنظام، لم يستطع أن يمسك لسانه, وصرّح في ختام المطـــاف بكلام: عبّر فيه عن مساندته للعناصر الفوضوية المشاغبة, وكـــذلك بالنســـبة لعمـــلاء الصهيونية في البرلمانات الأوربية وغير الأوربية وفي الدول المجاورة لم يسعهم إلاّ أن أدلوا بآرائهم في هذا الصدد.

إنّما هي الإرادة ويد القدرة الإلهية

يا أبناء الشعب الإيراني العظيم، يا من تمثّلون عظمة واقتدار الإسلام في هذا العصر، يا أيّها الشباب، ويا أيّها الرجال والنساء، ويا أيّتها القلوب المؤمنة والأرواح المتحرّقة، انظروا يد القدرة الإلهية في هذه الحادثة؛ إنه لَمِن الخطأ أن يتصوّر المرء أنّ الشعب الإيراني الذي نزل إلى الساحة، أو القوى المؤمنة التي برزت بكل اقتدار، إنّما كان منها ما كان، استجابة لكلام فلان؛ كلاّ، ومن يكون فلان؟ ومن نكون أنا وأمثالي؟ إنّما هي الإرادة ويد القدرة الإلهية، وهي ذات اليد المقتدرة التي قادت هذا الشعب وهذا النظام وهذه الثورة إلى الأمام منذ عشرين سنة وستبقى تقوده رغم كل الأعداء.

وسيبقى هذا الشعب صامداً, وسيواصل إلحاق الهزائم بالأعداء, وأمّا أنا وأنت فعلينا أن نأخذ العبر؛ فما من شعب يستقي العبر والدروس من الأحداث والوقائع إلاّ ويكون النصر حليفه.

دروس وعبر

دوّنت بعض الملاحظات التي اعتبرتها بمثابة دروس وعبر وأنهي كلامي؛ لأن الكلام قد طال. والدروس المستقاة من هذه الحادثة عديدة مهمّة للجميع.

الدرس الأول ــ يجب أن يأخذه أعداؤنا ــ وهو: أنهم يجب أن لا يناطحوا الصخر ولا يدخلوا في صراع مع الإسلام، إذ لا جدوى من التورّط في صراع مع نظام يستند إلى جماهير مليونية من أبناء الشعب.

الدرس الثاني ــ لعامّة الشعب ــ وهو: أن شعبنا العزيز يجب أن يعرف عدوّه ــ وهو يعرف عدوّه طبعاً ــ وليعلم إنّ السلاح الأمضى والأفضل هو سلاح الإيمان والوحدة واليقظة.

حافظوا على إيمانكم، وصونوا وحدتكم، وحافظوا على وعيكم ويقظتكم, ولو فعلتم لَما استطاع أيّ عدو أن يلحق الضرر بكم.

الدرس الثالث ــ للمسؤولين ــ: الذين يجب عليهم معرفة قدر هذا الشعب، وأن يجعلوا رفع مشاكله هدفهم الحقيقي والدائم، وخليق بهم مضاعفة الجهود على هذا السبيل، فهذا الشعب جدير بأن يقدّم له المرء كل وجوده, وعلى المسؤولين الأعزاء في الحكومة وفي مجلس الشورى وفي السلطة القضائية وفي القوات المسلحة، أن لا يدّخروا وسعاً في تقديم الخدمات لأبناء هذا الشعب والعمل من أجله.

فهذا الشعب شعب شريف وكريم، واعلموا أنّ هذا النظام قوي وهو أرسخ من الجبل بفضل اتّكائه على هذا الشعب.

الدرس الرابع للطلبة: أعزائي، يجب أن تلاحظوا كيف أن العدو بدأ بإدخال العنصر الطلابي في حساباته, لا يشك ــ طبعاً ــ في أنه أدخل هذا العنصر ضمن حساباته منذ مدّة مديدة، إلاّ أنه يريد حالياً أن يلعب عملياً بالعنصر الطلابي.

وانطلاقاً من هذا الواقع يجب أن يكون وعيكم وإيمانكم وفطنتكم سبباً لإحباط مآرب العدو، ويجب أن تتصرّفوا ما استطعتم من موقع الإنسان الواعي المدرك؛ فالبلد بلدكم، ونحن ذاهبون، وأنتم الذين يجب أن تأخذوا بزمام هذا البلد.

لقد استطاع آباؤكم والجيل السابق لكم انتزاع هذا البلد من قبضة الناهبين الأجانب وخاصة أمريكا؛ وهؤلاء الناهبون يتشبّثون اليوم بأيديهم وأرجلهم لاستعادة سيطرتهم على هذا البلد، وأنتم الذي يجب أن تستعدّوا وتتأهّبوا لحماية بلدكم ولا تدعوه يقع ــ بما فيه من ثروات, وبما له من موقع حسّاس ــ في أيدي الأعداء.

الدرس الخامس: للتيارات السياسية ــ التي أنظر إليها جميعاً من زاوية واحدة، بدون الاهتمام بالأسماء والمسمّيات، ولكن المهم بالنسبة لي هي الأفكار والقلوب والأعمال, وأعزّها عندي هو أكثرها حرصاً على الإسلام والقيم ونهج الإمام والمصالح الوطنية ومصير هذا البلد، بغض النظر عن التيار الذي ينتمي إليه. عليكم بالسعي لكي تتطابق توجّهاتكم مع هذه المعايير؛ لأن الشعب هو الذي يريد هذا منكم.

فالشعب يريد الإسلام ويريد سيادته واقتداره الإسلامي، فلا تثقوا بالعدو وعملائه, هناك حالة سيّئة تلاحظ لدى التيارات السياسية وهي: أنها تتصرّف مع التيار المقابل بعداء، ولكنها تنتهج سياسة الانفتاح الكامل مع الأعداء, وهذه الحالة لا أحبّذها أنا ولا تروق لأبناء الشعب، بل ويمكنني القول بكل جرأة: أنّها حالة لا يرتضيها حتى الله.

المخالف والمؤالف

يشار في بعض الأحيان إلى وجود المخالف والمؤالف, فهل يوجد لدينا حالياً مخالف ومؤالف؟ إذا أردنا أن نحسب حساب الشعب فأبناء الشعب كلّهم مؤالفون, أما بالنسبة إلى التيارات السياسية فيوجد منها ما هو مؤالف، ويوجد منها ما هو مخالف أيضاً.

فمن هو المؤالف؟ هو الذي ينبض قلبه للإسلام وللثورة, ويسير على نهج الإمام, ويحترم الشعب احتراماً حقيقياً وليس مجرّد مزاعم, أمّا المخالف فهو ذلك العنصر الذي يتلقّى التعليمات والأوامر من الأجانب، وقلبه ينبض للأجانب ولعودة أمريكا إلى التسلط على شؤون إيران، وكان يفكّر منذ بداية الثورة بإقامة علاقات صميمة مع أمريكا، وكان يستهين بالإمام وفي المقابل يحترم أمريكا, وإذا رأى أحداً ينال من الإمام لا يسوؤه ذلك، ولكنه يغضب إذا ما تناهى إلى سمعه ما يسيء إلى الأعداء الأجانب وأعوانهم! هؤلاء

أجانب عنّا بقطع النظر عن عناوينهم وأسمائهم, ولا أريد ذكر اسم أحد في خطبة صلاة الجمعة.

وكل من يكون على هذا المنوال فهو غريب عنّا؛ وإني أسأل الله أن لا يكون لدينا مَنْ هو على هذه الشاكلة.

يجب على الأجهزة المختصّة, كالأجهزة الأمنية ــ وزارة الأمن ووزارة الداخلية ــ وقوى الأمن الداخلي، وحرس الثورة الإسلامية، وقوات التعبئة، وما شاكلها أن تتحلّى بالوعي واليقظة, وأمّا ما يُبديه بعض الحريصين من تذمّر إزاء عمل الصحافة فهو ناجم عن هذه الحالة، وإلاّ فليس هناك من يعارض حرية الصحافة؛ لأن فلسفة هذه الثورة قائمة على الحرية ــ حرية الفكر وحرية البيان ــ ولكن يجب أن لا تُستغل هذه الحرية بحيث يُقدّم كلام وتوجّهات وتحليلات وإرادة الأعداء على الآراء الأخرى.

على الصحافة أن تضع هذا كمبدأ ومعيار لها؛ لأن من يكون للعدو صديقاً، لا يمكن للصديق الآخر أن يثق به ويركن إليه.

يجب على الفئات والتيارات السياسية أن تتصافى في ما بينها وتنسجم, وتتعاون مع بعضها, وأن لا تتعامل مع بعضها بسوء الظن والتهمة والإساءة والبغضاء.

تزعم هذه التيارات أنها تختلف مع بعضها في المزاج والذوق السياسي، وأنا لا أدري إلى أيّ حدّ تختلف هذه التيارات في ما بينها من حيث المبادئ والأسس, فإذا كانت مختلفة في المجالات الاقتصادية والسياسية ــ إن لم تكن اختلافاتهم عاطفية فقط ــ لا بأس عليها بالتنافس في إطار تلك الاختلافات، ولكن يجب أن لا ينتهي بها هذا التنافس إلى العداوة والحقد والخصومة؛ لأن العدو يتربّص بانتظار حلول الفرصة المناسبة، ويحسب حساب الصراع والتناحر الموجود بين هذه التيارات.

اللهم إنّا نسألك بحق محمد وآل محمد أن لا تسلب من هذا الشعب رحمتك ولطفك، وأنزل عليه النصر من عندك.

اللهم بحق محمد وآل محمد اجعل ما قلناه وما سمعناه خالصاً لوجهك، وأكرم شهداءنا الأعزاء بعلو الدرجات واحشرهم مع شهداء كربلاء وشهداء صدر الإسلام، فكل ما لدينا إنّما هو بفضل هؤلاء الشهداء ــ علماً أن جثمان عدد من هؤلاء الشهداء سيجري تشييعه اليوم بعد الصلاة ــ .

بلّغ اللهم التحية والسلام من أعماق هذه القلوب لمولانا وليّ العصر أرواحنا فداه، واجعل الرضا في قلبه عنّا واشملنا بدعائه.

بسم الله الرحمن الرحيم

<قل هو الله أحد* الله الصمد *لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفؤاً أحد>.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته